سورة المائدة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100) ﴾

شرح الكلمات:

{قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ} الحرام

{وَالطَّيِّبُ} الحلال، وكيف يستويان

و{الْخَبِيثُ} موصل إلى النار

و {الطَّيِّبِ} موصل إلى الجنة؟

{فَاتَّقُواْ اللَّهَ} واتركوا الحرام – مهما كثر – فإنه منعدم البركة، محقق المحق واحرصوا على الحلال – مهما قل – ففيه الخير كل الخير، وفيه النماء والبركة .

{يأُوْلِي الأَلْبَابِ} يا ذوي العقول

المعنى الإجمالي :

أمر الله تعالى نبيه أن يذكر لهم أن الخير والشر لَا يستويان، وأن الخبيث والطيب لَا يتساويان، فلا يمكن أن يكون معاملة أهل الخبيث كمعاملة أهل الطيب، وأمر الله تعالى نبيه أن يقول ذلك، ويبينه للناس على أنه جزء من رسالته يبينه للناس ويعرفهم به أو

يذكرهم إياه وهو ما ترتضيه الفطر السليمة وتدركه العقول المستقيمة، وهو بيان لطبائع هذا الوجود.

أي: {قُلْ} للناس محذرا عن الشر ومرغبا في الخير: {لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ} من كل شيء، فلا يستوي الإيمان والكفر، ولا الطاعة والمعصية، ولا أهل الجنة وأهل النار، ولا الأعمال الخبيثة والأعمال الطيبة، ولا المال الحرام بالمال الحلال.

{وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ} فإنه لا ينفع صاحبه شيئا، بل يضره في دينه ودنياه.

{فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فأمر أُولي الألباب، أي: أهل العقول الوافية، والآراء الكاملة، فإن الله تعالى يوجه إليهم الخطاب. وهم الذين يؤبه لهم، ويرجى أن يكون فيهم خير.

ثم أخبر أن الفلاح متوقف على التقوى التي هي موافقة الله في أمره ونهيه، فمن اتقاه أفلح كل الفلاح، ومن ترك تقواه حصل له الخسران وفاتته الأرباح.

ولَا مساواة بين الخير والشر، والله يعاقب على الشر، ويثيب على الخير، والنتيجة لهاتين المقدمتين، أن الأشرار سيعاقبون، والأخيار سيثابون لَا محالة، ولازم هذه النتيجة أن يحذر الناس فيرجوا ثواب الله ويخافوا عقابه، وذلك الحذر يكون بتقوى الله تعالى بامتلاء القلب بخشيته، والعمل على اتقاء عذابه ولذا قال: (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أي إذا كان كل امرئٍ مجزيًا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فاملأوا قلوبكم بتقوى الله وخشيته وملاحظة أنه يعلم ما تبدون وما تكتمون، فاعبدوه كأنكم ترونه، فإن لم تكونوا ترونه، فاعلموا أنه يراكم، وهو يعلم سركم وجهركم، فإن خشية الله تعالى في أعمالكم على هذا النحو يُرجى منها الفلاح والفوز؛ لأنها سبب لذلك، فالرجاء في: (لَعَلَّكُمْ) من العبيد، لَا من الله؛ لأنه سبحانه يرجى ولا يرجو إنه بكل شيء عليم.

الثمرات العاجلة للتقوى:

1– أنها سبب لوجود المخرج للمؤمن من كل ضيق، والرزق من حيث لا يحتسب.

2– اليسر في كل أمور العبد.

3– الحفظ من كيد الأعداء.

4– النجاة من عذاب الدنيا،

5– أن يحفظ الله عز وجل الذرية الضعاف.

6– البشرى في الدنيا والآخرة:

الثمرات الآجلة للتقوى

1– أهل التقوى هم الورثة الحقيقيون لجنة الله عز وجل.

2– أنهم ينالون أعلى درجات الجنة.

3– تكفير السيئات وعظيم الأجر فى الجنات والنجاة من عذاب النار.

4– الاستقبال الطيب من الملائكة يوم القيامة.

5– المقام الأمين عند الله عز وجل.

من الذين لا يفلحون؟

1– الكافرون –2– الذين يفترون على الله الكذب–3– السحرة–4– المجرمون–5– الظالمون

أسباب الفلاح

1– الخشوع في الصلاة.

2– الإعراض عن اللغو.

3– إيتاء الزكاة.

4– ترك الفواحش ومن أقبحها الزنا.

5– أداء الأمانات والوفاء بالعهود.

6– المحافظة على الصلاة

فمن هنا يتبين أن أسباب الفوز والنجاح والفلاح ليست إلا أعمالا يسيرة ، في استطاعة كل مكلف ،فما علينا إلا أن نعملها ونقرب بها الى ربنا عز وجل .

الفوائد:

1- بيان مسئولية الرسول أزاء الناس وأنها البلاغ لا غير وقد بلغ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

2- تقرير الحكمة القائلة العبرة بالكيف لا بالكم فمؤمن واحد أنفع من عشرة كفرة ودرهم حلال خير من عشرة حرام وركعتان متقبلتان خير من عشرة لا تقبل.

3- الأمر بالتقوى رجاء فلاح المتقين.

4- إن الشر مهما يكثر لَا يمكن أن يستحسن شرعا أو ترضى به الأخلاق، ولا يمكن أن ينقلب بالكثرة مساويا للخير بل إنه كلما كثر، وجبت مقاومته، بشدة وبمقدار كثرته.

5-الخَبيثُ هُوَ الحرامُ الضَّارُ السَّيِّءُ في جَميعِ الأمورِ؛ وهذا كائِنٌ في مَيدانِ المعاني والمحسوساتِ؛ كَما في المكاسبِ والأعمالِ والنَّاسِ؛ وَالمَعارفِ مِنَ العلومِ، وكُلُّ هذا لا خَيرَ فيهِ ولا بَرَكةَ ولا فَلاحَ، وَعاقِبتُهُ شَرٌّ وَشَنَارٌ، ومآلُهُ هلاكٌ وَدمارٌ.

6- الطَّيِّبُ نَقِيضُ الخَبيثِ وَضِدُّهُ؛ وهُوَ الحلالُ النَّافعُ الحَسنُ؛ ويجري كَمَا الخبيثُ في مِضمارِ المعاني والمحسوساتِ؛ وَفِيهِ الخَيرُ والبركةُ والفلاحُ؛ وعَاقِبةُ أَمْرِهِ حَميدةٌ في الدُّنيا والآخرةِ.

7- مَهْما كَثُرَ الخَبيثُ في دُنْيا النَّاسِ وَشَاعَ؛ فَإِنَّهُ لا يَصِيرُ سائغاً رائقاً؛ بِحيثُ يَلِجُ الإِنْسانُ بَابَهُ، ويَتَوَغَّلُ في داخِلِهِ؛ إِذِ العِبْرَةُ بالحقائقِ والمعاني لا بِالأشكالِ والمبانِي.

8- أَصْحابُ العقولِ الصَّحيحةِ السَّليمةِ هُمُ المَخاطبونَ بالتَّوجيهاتِ الرَّبانيَّةِ والنِّداءاتِ الإِلهيَّةِ؛ فَإِنَّ العقلَ الصَّريحَ يَنْسَجِمُ معَ النَّقلِ الصَّحيحِ في اتِّساقٍ فَريدٍ، ولا تعارضُ بَينهما الْبَتَّةَ.

9- الصدقة من حرام –وإن كانت أمثال الجبال– لا تصعد إلى الله تعالى، ولا توضع في خزائنه، أما الصدقة من حلالٍ –وإن كانت شقَّ تمرة– فهي تقع في كف الرحمن وتربو، حتى أن مثقال حبة من صدقةٍ حلال أرجح عند الله من أمثال الجبال من حرام.

10- خص أولى الألباب بالاعتبار لأنهم هم أهل الروية والبصر بعواقب الأمور التي ترشد إليها مقدماتها بعد التأمل فى حقيقتها وصفاتها، أما الأغرار الغافلون فلا يفيدهم وعظ واعظ ولا تذكير مذكّر، فلا يعتبرون بما يرون بأعينهم ولا بما يسمعون بآذانهم.

11- الواقي الوحيد في هذا المضمار هو التقوى، وبها وحدها الفلاح والفوز بخيري الدنيا والآخرة، وتقوى الله تفرض عليك اجتناب الخبيث وإن كثر، والحِرْص على الطيّب وإن قلّ ونَدُر.

12- الخبيث: ما يكره بسبب رداءته وخساسته، سواء كان شيئاً محسوساً، أو شيئاً معنوياً، فالخبيث إذاً يتناول: كل قول باطلٍ ورديء في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح من الفعال، فكل خبيث لا يحبه الله ولا يرضاه، بل مآله إلى جهنم.

13- الطيب شامل: للطيب والمباح من الأقوال والأفعال والمعتقدات، فدخل في هذه القاعدة كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الواجبات والمستحبات والمباحات.

14- الغرض من الآية ليس مجرد الإخبار بأن الخبيث لا يستوي هو والطيب، فذلك أمرٌ مركوز في الفَطَر، بل الغرض هو الحث والترغيب في تتبع كل طيب من القول والعمل والاعتقاد والمكسب، والتنفير من كل خبيث من القول والعمل والاعتقاد والمكسب.

15- من أعظم أسباب العناية بطيب المكسب عند أسلافنا أمور، من أهمها:

أ. أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

ب. ومنها: أن هذه المكاسب مما تنبت عليها الأجساد.

والله اعلم

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ

سلسلة تفسير القران العظيم الإصدار رقم (217)

فوائد من تفسير سورة المائدة الآية 100

تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)